مقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه بصل الإنسان إلى أعظم الغايات، وبهدايته تنبني الرؤى وتكمل التصورات، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى أصحابه والسالكين طريقة والمهتدين بهدية إلى يوم الدين.

وبعد:

بادئ ذي بدء أقول: إن موضوع هذا البحث: [منهج الدعوة الإسلامية الاستدلالي في القرآن الكريم] يأتي فى لحظات حاسمة في تاريخ الفكر الإسلامي بعد كثرة هائلة من البحوث والدراسات العلمية التي ركزت على القضايا والمضامين الدعوية الموضوعية، في لحظات علا فيها صوت الخلافات، وتأسست فيها الرؤى المذهبية، والاتجاهات الفكرية التي تتبناها مدارس دعوية متعددة ومتنوعة، عمقت من رؤى الخلافات المنهجية، والتوجهات الفكرية التي انطلقت من توجُّسات الواقع الفكري، وآمال النهضة الكبرى، يحدوها الترقب، ويغيب عنها الحذر!!

وقد غابت في خضم هذا المعترك الرؤى النهجية فيما يتعلق بقضايا المنهج العلميَّ في التأصيل لمنهج دعوي راشد، يمكن استنباط أصوله وقواعده ومبادئه من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، تتحاكم إليه هذه المدراس الدعوية على تنوعها، واختلافها فى الرؤى والمنهج لضبط تصور اتها الإدراكية، لتتفاعل وتنسجم مع معطيات المنهج الدعوي وأهدافه.

وقد أدي غياب هذه المنهجية إلى تفعيل المعترك إلى أن صار مفترقًا فكريًا، ورأبًا في هيكلة الفكر الإسلامي في الآونة الأخيرة، يصعب معالجته في ظل التعصب

أحيانًا، والاستبداد، وتجريد الآخرين من المنهجية، وسلب هويتهم الفكرية، واتهامهم بالتبعية أحيانًا أخرى.

على أننا لا نعدم وجود بعض الرؤى المنهجية في الأوساط الفكرية الإسلامية الحديثة، إلا أنها تأتي في كثير من قضاياها لتخلط بين قضايا المنهج ومضامين الدعوة الموضوعية، ولم تستطع التخلص من النمط الموضوعي السائد، وإضافة إلى ندرتها، وهي لا تعدو كونها اجتهادات فردية تفتقر إلى دقة في الضبط، ومنهجية في التأصيل.

ينبغي ألا يُفهم من هذا أننا نقلل من قيمة الاجتهاد الفردي، أو نقدح في طبيعته، فهو نواة البناء المنهجيّ، أو الانطلاقة إلى آفاق المنهج الراشد ليتبناه جماعات العلماء بالنقد والتقويم لتمييز جيده من رديئة، وغثه من سمينه.

على أنه لم توجد في تاريخ الحضارات العالمية، والثقافات الإنسانية، وميادين الأفكار العالمية الكبرى ثقافات "جماعية" لم تمر بهذه المراحل الفردية، فلا يمكن تصور قيام صرح فكري عملاق بدون لبنات انبثقت من عقول فردية.

على أننا لا ننسى الفوارق بين الثقافات والحضارات من الاختلافات الحادة المتناقضة، أو بعض رموز التشابه القوي، والمؤثرات الفاعلة .. لكن يكفينا الإماءة إلى أن هذه الرؤى المنهجية الفردية في المحيط الإسلامي تنضبط بضوابط عقدية، وتتخلق بأخلاقيات دينية، وتلتزم بمبادئ موضوعية صادقة، تتميز برؤية أمينة إذا ما قورنت بالأفكار المغايرة.

وأيًا ما كان فقد ظلت قضايا منهج الاستدلال الدعويِّ في حاجة ملحة لمن يلقي الضوء عليها، أو يفجرها، ويستخرج كوامن كنوزها ويسهم بفاعلية في إثراء الحركات الدعوية في سائر ميادينها، ومختلف اتجاهاتها.

وقد كان ومازال غياب هذه القضية عن العمل الدعوي محل نقد لاذع من قبل بعض المتخصصين في التخصصات المغايرة لتخصص الدعوة الإسلامية، دفعتهم إلى القول بأن قسم الدعوة "غير متخصص وغير أصيل" . ومن حق كل باحث أن يحل محل الداعي ومن حق أي قسم أن يحل محل قسم الدعوة!!

إنها مشكلة خطيرة قفز فيها البعض فوق الحدود الفاصلة بين التخصصات، والثوابت الكائنة الأصيلة لقسم الدعوة، باعتباره كيانًا يشرف المنتمين إليه، وباعتباره قسمًا علميًا متخصصًا.

لكني أعود لألتمس العذر لهؤلاء، لأن قضايا المنهجية فعلا غابت عن جُلِّ البحوث والدراسات والممارسات الدعوية، وليس معنى هذا أن دراسات الدعوة مجدبة وعقيمة .. فثمة دراسات نامية ومتنامية .. ثرية وواعدة .. خصبة بالرؤي ولتصورات الدقيقة، والتحليلات العلمية، تتعلق بالهدم والبناء، والإثبات والنفي، والقبول والرفض، والأخذ والرد في مجال مقارنة الأديان والفكر والثقافة، مما أثرى الجدل العلمي الهادف والبنَّاء في حركات النقد للأفكار، ووضع الضوابط والأصول والمعايير القيمية والبنائية.

لذا رأيت من الأهمية دراسة هذا الموضوع ومعالجته على أن أهميته تتلخص فيما يأتى:

١ ـ بيان ثراء القرآن الكريم بقضايا المنهج الاستدلالي.

٢ ـ بيان أثر منج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم في إثبات قضايا الدعوة.

٣ ـ صبغ الدراسات الدعوية بالمنهجية العلمية.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث مما يلي:

أولاً: المقدمة وتتضمن ما يلي:

أ : بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره.

ب : بيان منهج البحث.

ثانيًا : التمهيد ويتضمن ما يلي:

أ: التعريف بالمنهج.

ب: التعريف بالدليل.

ج: التعريف بالاستدلال.

هـ: التعريف بالمنهج الاستدلالي.

و: التعريف بمنهج الدعوة الإسلامية الاستدلالي في القرآن الكريم.

ثالثًا: موضوع البحث ويشتمل على ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: طبيعة الأدلة الدعوية في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: قواعد منهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: مقاصد منهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم.

منهج البحث:

سوف أعتمد في هذا البحث على المنهج الاستدلالي الذي يعتمد على ما يلي:

[١] المنهج الاستقرائيُّ حيث تقتضي طبيعة البحث استقراء النصوص واستقصائها في معرض التأمل والتفكر والنظر الفاحص والتصور الدقيق لمقتضيات النصوص وشاراتها الدلالية.

[٢] المنهج الاستدلاليُّ الذي يعتمد على التحليل والتركيب.. تحليل النصوص، وتركيب المقدمات، وترتيب النتائج، كما يعتمد على الاستنباط الذي يتطلب تقديم النص واستخلاص ما يتضمنه من أحكام، ويعتمد على إجراءات القياسات، وبيان المعطيات، وإبراز البراهين والخلوص من ذلك كله إلى نتائج تتسم بالموضوعية والعقلانية، تنبثق من النص، وتنسجم مع العقول، وتتفاعل مع المدراك والفهوم.

وهذا ما يخدم إجراءات استنباط قواعد منهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم، لبيان منهجيته في إثبات قضايا الدعوة وإبطال دعاوى المنكرين والمعارضين والمشككين، ومعرفة كيفية بناء الأدلة واستنباط الأحكام، ودحض الحجج، وبيان فساد الدلالة من صحتها والتى تُعتبر إحدى لوازم المنهج النقدي.

[٣] كما أعتمد في منهج البحث على سوق النصوص القرآنية الكريمة، واستنباط القواعد المنهجية الاستدلالية منها، ثم تأصيلها وتقعيدها.

وأنوه إلى أن ما توصلت إليه من هذه القواعد المنهجية، وما قمت به من تأصيل وتقعيد لها ليس كل ما تتضمنه آيات القرآن الكريم من قواعد منهجية استدلالية، فالقرآن مفعم بهذه القواعد وحسبي ما وفِّقت إليه منه، وقد يوفَّق إلى غيرها آخرون.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياهم إلى ما يحقق مقاصد الدعوة الإسلامية، ويضبط مساراتها وفق منهجية علمية منضبطة بمعطيات الوحي الإلهي ومضامينه والتى يتضمنها القرآن الكريم .

وأخيرًا أختتم مقدمتي هذه قول الله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

فجر يوم الجمعة الموافق

٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ/ ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٣م.

التمهيد
تعريف المنهج

مدخل:

يعد المنهج واحدًا من القضايا الكبرى التي شغلت العقل البشري فى القديم والحديث، واجتذبت العلماء والمفكرين والمثقفين والفلاسفة والنقاد الذين يتمتعون بالحس النقدي، والرؤية البنائية للمعاني والأفكار والمعارف، وقد انصرف اهتمام هؤلاء وأولئك إلى هذه القضية للبحث في كنهها وماهيتها، وطرائقها، وأدواتها، لترشيد الفكر وبناء عقل معرفي منضبط الإدراك، يمكنه التفكير بعمق ودقة فى مهايا الأشياء، يجمع بين اليقين والحذر، والافتراض والتحوط، والاحتمال والقطع.

على أن هذا لم يكن جمعًا بين متناقضات أو متقابلات، وإنما يعكس مدى الحيطة، والحذر، والروية، والأناة في سبر أغوار القضايا، والتعرف على مفاهيمها وإطلاقاتها وقيودها قدر الأمكان.

وهذا ليس من باب الوصول بالعقل إلى درجة العصمة بقدر ما يقصد به وصوله إلى درجة من النضج الفكري، والتفتق الذهنيِّ.

ولا يعني اهتمام العلماء بقضية المنهج وتطبيقاتها أن كل المعارف المنهجية كانت صائبة، ومع ما جانبها من الصواب، وما غاب عنها من الحكمة والوعي الدقيق في بعض الأحيان، فإن ذلك لا يقلل من الجهد المبذول من المعنيين بقضايا المعرفة وأهميتها في سبيل بناء العقل، وترشيد مدراكه ومعارفه.

بيْد أن العقيدة الصحيحة واليقين والثبات والإيمان كان وراء تفتق ينابيع الحكمة من عقول انضبطت معارفها بالوحي الإلهي وحكمة النبوة.

من ثم تعددت تعريفات العلماء للمنهج، وإن كان التعدد لا يحمل من وجهة نظر البعض مضامين الاختلاف، وإنما يحمل مضامين الكثرة والتنوع، صياغة وأسلوبًا وأداءً وفكرًا.

وهذا ـ فيما أرى ـ يرجع إلى مدى عمق النظرة وسطحيتها، وإلى قناعات الباحث الفكرية، وثوابته العقدية، ويقينه الديني.

وعلى كلٍ، فسوف نتقي من هذه التعريفات ما يبعدنا عن الاختلاف والخوض في غمار الفلسفات، والتشقيقات الجدلية، يقينًا منا بأن هذا البحث في غنى عن سرد كل هذه التعريفات، وأنه يكفينا في هذا الصدد بيان الدقيق منها.

وقبل أن أبين ذلك، أود أن أعرِّج على تعريف المنهج في إطلاقات اللغة، لأن الاصطلاح ينبثق دائمًا من وعاء اللغة.

أولاً: المنهج في اللغة:

وردت مادة (ن هـ ج) في اللغة بمعان عدة، منها:

("نَهَجَ" الطريقُ نهجًا ونهوجًا: وضَح واستبان، ويقال: نهج أمره ويقال نهجَ الطريقَ: بينه، وسلكه، و "أنهجَ" الطريقُ وضح واستبان و "انتهج" الطريقَ: استبانه وسلكه، واستنهجه: صار نهْجًا، و "نهج" سبيل فلان سلك مسلكه.

و "المنهاج" الطريق الواضح، وفي التنزيل العزيز ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[1].

والمنهاج ـ أيضًا ـ الخطة المرسومة. ومنه منهاج الدراسة، والتعليم ونحوهما ـ والجمع ـ مناهج.

---

(١) سورة المائدة (٤٨).

و "النهج" : البيِّن الواضح (...) والطريق المستقيم الواضح. يقال: هذا نهجي لا أحيد عنه)[1].

تـأملات في المعنى اللغوي:

لا شك ـ كما هو واضح ـ أن هذه الاشتقاقات لمادة نهج تتمحور حول عدة معان كلها تخدم غرضًا واحدًا، هو الاستقامة والوضوح والبيان، وهذا لا يتأتى إلا بالتحري والتدقيق والتحقيق والتقعيد والضبط وإحكام التخطيط، مما من شأنه ضبط مدارك العقول والارتقاء بالأفكار إلى درجة من النضج العقلي الذي يستقيم وفطر الإنسان، وينسجم مع ملكاته وقدراته، وطاقاته الإبداعية، ومناهج تفكيره.

ثـانيًا: المنهج في الاصطلاح:

ورد في التعريف الاصطلاحي للمنهج ـ كما أسلفنا ـ كثرة من التعريفات، ومع تعددها إلا أنها تصب في معين المعنى اللغوي، بل وتنبثق عنه، وتنفتق عن دلالالته، وتخلص لمضامينه وغاياته.

ومن هذه التعريفات ما يلي:

١ـ (المنهج[2]: هو علم التفكير، أو طريقة كسب المعرفة.

٢ـ الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة، لاكتشاف الحقيقة.

٣ـ وهو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، وإما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين)[3].

---

(١)المعجم الوسيط مادة (ن هـ ج) (٢/ ٩٥٦) المجمع اللغوي. ط (٢) القاهرة، وراجع لسان العرب لابن منظور (٦/ ٦٨١) دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ.

(٢)منهج البحث في العلوم الإسلامية: د. محمد الدسوقي (ص ٤٣) دار الأوزاعي . ط (١) ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م، ومقدمة في أصول المنهج: د/ عائشة عبد الرحمن (ص ٢٢) البحوث والدراسات والعربية بمصر ١٩٧١م. .

(٣) منهج البحث في العلوم الإسلامية د. الدسوقي: (ص ٤٣). مرجع سابق.

ويجمع هذه التعريفات ـ كما يرى بعض الباحثين ـ (الخطة أو القواعد التي يأخذ بها الباحث في الدراسة العملية).

ويتفق مع هذا وإن كان أدق منه ما ذهب إليه د/ عبد الرحمن بدوي من أن المنهج هو : (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على مسير العقل، وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)[1] وهذا ما أرجحه.

بيان مفردات هذا التعريف:

(١ـ يقصد بـ "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة": الطريق الذي إذا سلكه الباحث أدي به إلى الكشف عن الحقائق، ولكن يشترط له الوضوح والبيان والاستقامة، ولصيانة هذه الحقائق من الخلط أو اللبس.

٢ ـ ويقصد بقوله: "في العلوم" أن هذا المنهج منهج عام ينتظم سائر العلوم النظرية والعلمية، وليس خاصًا بمنهج بعينه من مناهج البحث العلمي، وإن كانت هذه المناهج لا تخرج عن إطاره العام، وإن تميز بعضها عن بعض بخصائص معينة لتبقى هذه الخصائص تمثل التعريف الخاص للمناهج المختلفة.

٣ـ ويقصد بـ "بواسطة طائفة من القواعد العامة": الضوابط التي تضبط منهج البحث العلمي بوجه عام، وتعصم العقل من الزلل، وتضمن للباحث صحة المسار، وصحة المقدمات المقعَّدة بها، والنتائج المترتبة عليها.

٤ ـ ويقصد بقوله: "التوصل إلى نتيجة معلومة" : نتيجة تفيد العلم الضروري على وجه اليقين والقطع لا العلم الظني القائم على التخمين والحدس)[2].

---

(١) مناهج البحث العلمي: د. عبد الرحمن بدوي (ص ٥) وكالة المطبوعات بالكويت، ط (٣) ١٩٧٧م.

(٢) منهج المستشرقين الاستدلالي. دراسة نقدية: للمؤلف (ص ٢٢٧٠، ٢٢٧١) حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية فرع جامعة الأزهر الشريف بطنطا. العدد العاشر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

من ثم تتبين دقة هذا التعريف وشموليته لطبيعة المنهج وطبيعة ضوابطه والأهداف والغايات التى يتوخاها الباحثون والعلماء منه.

إطلاقات مادة (ن هـ ج) في القرآن الكريم:

عندما نقرأ آيات القرآن الكريم ونتدبرها، ونتتبع اشتقاقاتها نجد أن مادة (ن هـ ج) لم ترد في القرآن الكريم إلا باشتقاق واحد فقط هو (المنهاج)، مما يجعلها أقل المواد اللغوية إطلاقًا في القرآن الكريم، وإن كان هذا الاشتقاق يخلص لأحد إطلاقات المادة في القرآن الكريم، إلا أنه جاء بمعنى الطريق الواضح البين المستقيم، الذي إن سلكه السالك اهتدى به إلى صراط الله المستقيم.

يقول الله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1].

تعريف الدليل:

أولاً: في اللغة:

تأتي اشتقاقات مادة _(د ل ل) في اللغة لتدور حول معنى الاهتداء والإرشاد، ومن ذلك ما يلي:

("الدليل": المرشد، و "أدله"، و "أدلاء" ما يستدل به.

و"الدلالة" الإرشاد.

و"الدليلة" : الدليل الواضح)[2].

(و"الدليل" ما يستدل به، و "الدليل" الدال .. وفلان يدل بفلان: يثق به. و "الدل" قريب المعنى من المهدى)[3].

---

(١) سورة المائدة (٤٨).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٩٤) مرجع سابق. وراجع: لسان العرب مادة (د ل ل).

(٣) مختار الصحاح (ص ٢٠٩).

دلالات التعريف اللغوي:

من خلال التعريف الاشتقاقي للدليل يتضح ما يلي:

١ـ أن الدليل يحمل معنى الإرشاد والهدى، وهو ما يستدل به على شئ ما على نحو واضح بيِّن إثباتًا أو نفيًا.

٢ ـ أنه استخدم بمعنى التوثيق.

وبناء عليه فإن الدليل الواضح البين يكون له أثره المباشر على الوثوق بما يحمله من دلالات، وما يُنتزع منه من أحكام على وجه الإرشاد والاهتداء.

وهو ـ إن صح ـ يفيد الوثوق بالمعارف والقناعات على نحو يقيني، سواء أكانت مثبته أو منفية .. صحيحة أو خاطئة.

ثانيًا: الدليل في الاصطلاح:

يأتي معنى الدليل في مباحث الأصوليين بأنه: (ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري)[١].

ويطلق على "المطلوب الخبري "عند الأصوليين: (الحكم الشرعي)[٢].

على أن التوصل بالدليل إلى هذا المطلوب الخبري مشروط بأن يكون عن طريق النظر الصحيح، لأنه يفيد العلم الصحيح، وتنبني عليه نتائج علمية صحيحة.

على أن صحيح المنقول لا يخالف صحيح المعقول (فالأدلة الشرعية لا تنافي العقول، لأنها منصوبة في الشريعة لتعرف بها الأحكام، وتستنبط منها، فلو فاتنا لفات المقصود منها، كما أن الاستقراء دل على جريان الأدلة على مقتضى العقول، بحيث

---

(١)أصول الأحكام للآمدي (١٣/ ١١٩ نقلاً عن الوجيز في أصول الفقه، د/ عبد الكريم زيدان (ص ١٤٧) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧م..

(٢) الوجيز في أصول الفقه (ص ١٤٧) وعلم أصول الفقه:، / عبد الوهاب خلاف ص ٢٠ مكتبة الدعوة الإسلامية " (٨) ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م وراجع في مباحث متعلقة بالدليل: ميزان الأصول في نتاج العقول (المختصر) للسمر قندي تحقيق محمد زكى عبد البرص ٦٩ وما بعدها. وزارة الآوقاف والشؤون الإسلامية بقطر ط (٢) ١٤١٨هـ/ ١٩٨٤م..

تقبلها العقول السلمية، وتنقاد لمقتضاها طائعة أو كارهة، ولا كلام في عناد معاند ولا في تجاهل متعامٍ)[1].

من ثم يتبين أن الهداية والإرشاد قاسم مشترك بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للدليل.

ثالثًا: تعريف الاستدلال:

الاستدلال هو :(البرهان الذي يبدأ بقضايا يسلَّم بها، ويسير إلى قضايا أخري تنتج عنها بالضرورة دون التجاء إلى التجربة، وهذا السير إما بواسطة القول أو بواسطة الحساب)[2].

على أن ثمة فرقًا بين الاستدلال والبرهنة.

(فالاستدلال: عملية منطقية ننتقل فيها من قضايا بقطع النظر عن صدقها أو كذبها، إلى قضايا ناتجة عنها.

أما البرهنة: فهي أخص من الاستدلال، لأنه يشترط فيها التسليم بصدق المقدمات[3].

تعريف المنهج الاستدلالي:

وقد عرف العلماء المنهج الاستدلالي بأنه: (هو الذي نسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنها بالضرورة دون التجاء إلى تجربة)[4].

ويسمى بالمنهج الرياضي أو الاستنباطي، (لأنه يقوم على التحليل والتركيب والاستنباط، إذ أن نتائجه مستخلصة من مقدمات)[5].

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي (٣/ ٢٠) مرجع سابق.

(٢)مناهج البحث العلمي: د. عبد الرحمن بدوي (ص ٨٢، ٨٣) مرجع سابق.

(٣) مناهج البحث العلمي (ص ٨٢، ٨٣).

(٤) نفس المرجع (ص١٨)، ومحاضرات في قواعد البحث العلمي: د/ صفوت شاكر مهنا (ص ٢٧) ط ١٩٩٠.بدون دار طبع. وتطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند علماء المسلمين: د/ محمد علي الجندي (ص ٤٣) ط (١) دار الوفاء المنصورة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٥)محاضرات في قواعد البحث العلمي : د/ صفوت مهنا (ص ٢٧) مرجع سابق . وراجع منهج المستشرقين الاستدلالي. دراسة نقدية للمؤلف (ص ١١) وما بعدها. مرجع سابق.

وهذا التعريف يحدد طبيعة المنهج الاستدلالي وأطره وقضاياه، فهو منهج يعتمد على مقدمات ونتائج، وأحكام وأدلة في عملية تتمحض للاستنباط، وتخلص لتقعيد قواعد بناء الأدلة على أساس من التحليل والتركيب.

أضف إلى هذا أنها عمليات عقلية لا تتوقف صحتها أو انبثاقها عن تجربة سابقة، كما أنها لا تقتصر على الإثبات فقط دون النفي، أو النفي دون الإثبات، وإنما تشملهما معًا.

ولا مرية أن لهذه الطبائع والأطر أثر كبير في عملية "الهدم والبناء" في معرض الاستدلال، بل إنها تعتبر أساسًا قويًا ومتميزًا ولازمًا لهذه العملية.

ولا مناص لكل صاحب دعوة أو رؤية أو تصور من الاعتماد عليها، وإلا باتت دعوته أو رؤيته أو تصوره بلا دليل، ولا اعتبار لآراء وتصورات ودعوات عرت عن الأدلة.

وهذا ما يتفق مع المنطق، وينسجم مع الواقع، وبدون ذلك تكون الآراء والتصورات غير معقولة، وغير منطقية، مما يجعلها مدعاة للرفض والإنكار.

رابعًا: تعريف منهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم:

في ضوء ما سبق من تعريف المنهج، والدليل، والاستدلال، والمنهج الاستدلالي، نستطيع أن نحدد ملامح واضحة لتعريف منهج الدعوة الإسلامية الاستدلالي في القرآن الكريم فنقول:

هو مجموعة القواعد المنهجية التي يرسيها القرآن الكريم في معرض الاستدلال على تقرير قضايا الدعوة الإسلامية إثباتًا أو نفيًا، والتي يصل الباحثون إليها عن طريق الاستنباط المعتمد على الاستقراء والتحليل والتركيب.

تأملات في هذا التعريف:

إذا تأملنا هذا التعريف لمنهج الدعوة الإسلامية الاستدلالي في القرآن الكريم سنجد ما يلي:

[١] إن هذا التعريف يحدد طبيعة منهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم من حيث أنه قواعد أرساها القرآن الكريم، وتضمنتها آياته الكريمة ويستنبطها العقل فالاستنباط عمل عقلي بشري ينسجم مع طبيعة العقل البشري، ويتنافي مع مقتضيات وخصائص الذات الإلهية التي تتفرد بكمال العلم والإحاطة، والعلم الإلهي منزه عن النظر والاستنباط.

[٢] إن القرآن الكريم في منهجه الاستدلالي إذن يفتح للعقل البشري آفاقًا رحبة من التفكر، والتأمل، والنظر السليم، والرؤية الناضجة في عملية "التدليل" أو "بناء الأدلة" .. إثباتًا ونفيًا .. تأييدًا ومعارضة، قبولاً ورفضًا، وآياته الكريمة غنية بتلك القواعد النهجية التي يمكن لنا استنباطها وتقعيدها لضبط عملياتنا الاستدلالية في معرض الدعوة، إذا ما أردنا منهجًا راشدًا للاستدلال، تفعيلاً لعمليتي "الإقناع" و "الاقتناع" لأنهما مناط القبول والاعتقاد والقناعات.

[٣] إن هذه القواعد إذا ما صفت في استنباطها العقول، فخلصت للحق، وتجردت من الهوي والمذهبية والغرض لن تختلف حولها الفهوم.

ولا يعني نفي الاختلاف عدم التنوع، فإن التنوع من ثمرات الاجتهاد، هذا يؤكد تفاعل الآيات القرآنية مع العقول وانفتاحها لاستيعاب المستجدات الطارئة، ومعالجة مشكلات البشر ية .. والتنوع لا يعني التغير وإن كان يعني التعددية، فالقرآن الكريم ليس من قبيل الأغيار.

[٤] إذا ما حدث تعارض في استنباط هذه القواعد، فمرد ذلك إلى قصور في الفهم والإدراك، أو خطأ في أدوات الاستدلال، وليس مرده إلى الآيات القرآنية، فهي منزهة عن ذلك.

[٥] ولعل رسول الله ﷺ كان على معرفة بطبيعة منهج القرآن الكريم في الاستدلال، لكنه لم يكن ليقعَّد لمنهج علمي أو بحثي حتى يبرز هذه القواعد ويؤصل لها، وإنما كان صاحب دعوة يبلغ عن الله تعالى ما يوحى إليه، وتبقي هذه العملية مهمة العلماء والباحثين والدراسين لقضايا الدعوة تستغرق جهدهم،

وتشحذ هممهم لاستنباطها وإبرازها إلى حيز الواقع لتنضبط بها منهجيتهم في الدعوة إلى الله ﷻ.

[٦] ومما ينبغي مراعاته، ونحن نقعِّد لمنهج الدعوة الاستدلالي في القرآن الكريم ضرورة التفريق بين منهج الدعوة ومنهج الدعاة، فمنهج الدعوة واحد لا يتغير وإن تنوع وتعدد، ولا يكون عرضة للاختلاف على نحو ما سبقت الإشارة إليه، أما مناهج الدعاة.

فقد تختلف، وقد لا تختلف .. تختلف إذا ما خضعت للمذهبية والرأي، وقامت على التحكم والفرض، ولا تختلف إذا ما انضبطت بضوابط المنهج الدعوي في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وقد يرجع سبب اختلافها إلى قناعات الدعاة الخاصة أو اتجاهاتهم الفكرية، ورؤاهم الإصلاحية، وتصوراتهم لمضامين وضوابط النهضة، وقد يكون وراء اختلافهم عوامل فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية، سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات.

وربما كان لهذه العوامل أثر في تقسيم هذه الرؤي والتصورات الإصلاحية إلى اتجاهات ومدارس في ميادين العمل الدعوي.

وتبقى لكل جهوده المشكورة إذا ما صدق المنهج، وخلصت النيات، وإذا ما تم الانتصار للحق لا للمذهب أو المدرسة أو الاتجاه.